



د. خالد النجار

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥ هـ ١٧٠٣ م - ١٢٠٦ هـ ١٧٩٢ م)

دكتور / خالد سعد النجار

لا يعد الإمام «محمد بن عبد الوهاب» زعيم حركة إسلامية سلفية فحسب، وإنما يعد أحد رواد الإصلاح الديني، ومجدد نبع الإسلام الصافي، الذي كادت تكدر صفوه تلك البدع والأوهام التي شاعت بين كثير من الناس في العصر الحديث، والتي وصفها بعض العلماء بوثنية العصر الحديث.

النشأة

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي سنة (١١١٥ هـ) الموافق سنة (١٧٠٣ م) في بلدة العينية في نجد، الواقعة شمال الرياض. في بيت علم وفضل ودين وقضاء، فأبوه قاض فقيه، وعامٌ كبير، من أسرة آل مشرف التي تنتهي بنسبيها إلى بني تميم، وكذلك كانت أمه امرأة فاضلة ذات عقل ودين، ومن عشيرته الأقربين. وهكذا كانت ولادته، ونشأته في بيئة متدينة، تعنى بالعلم، وتخرج العلماء الذين يتوارثون العلم كابراً عن كابر.

فجده الشيخ سلمان بن على هو رئيس علماء نجد، وأوسعهم علمًا، وأشدّهم تمسكًا بأهداه هذا الدين، حتى صار مرجعهم جيّعاً، وله كتاب مشهور في المنساك، هو المعتمد في باب المنساك عن الحنابلة، وكذلك كان عمّه إبراهيم بن سلمان عالماً جليلًا، وكذلك كان أخوه سليمان وحاله من علماء نجد، وكان ابن عمّه عبد الرحمن بن إبراهيم من العلماء المعودين، وهو وبالتالي ورث أبناء وحفدته حب العلم، فكان أبناءه الخمسة وكثير من حفديه من علماء شبه الجزيرة العربية.

ونشأ الشيخ في حجر أبيه عبد الوهاب في تلك البلدة في زمن إمارة عبد الله بن محمد بن معمّر، وكان سباقاً في عقله وفي جسمه، حادّ المزاج، فقد استظهر القرآن قبل بلوغه العشر، وبلغ الاحتلام قبل إتمام الإثنين عشرة سنة. قال أبوه: رأيته أهلاً للصلوة بالجماعات، وزوجته في ذاك العام.

طلب العلم

درس على والده الفقه الحنبلية والتفسير والحديث. وكان في صغره، مكباً على كتب التفسير والحديث والعقائد. وكان يعتني بكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحهما الله، ويكثر من مطالعتها.

ثم غادر البلاد قاصداً حج بيت الله الحرام. وبعد أدائه الفريضة أم المدينة المنورة، وقصد المسجد النبوي، وزار إمام المرسلين -صلى الله عليه وسلم-، وصحابته الأبرار المخلصين.

وكان فيما إذ ذاك من العلماء العاملين، الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف من آل سيف النجدي، كان رأساً في بلد الجماعة. فأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيراً من العلم، وأحبه الشيخ عبد الله، وكان به حفياً، وبذل جهداً كبيراً في تثقيفه وتعليمه. وكان من عوامل توثيق الروابط بينهما وتمكين الحجة توافق أفكاره ومبادئه مع تلميذه في عقيدة التوحيد، والتألم مما عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة، وأعمال زائفة.

واستفاد الشيخ من مصاحبه فوائد عظيمة، وأجازه الشيخ عبد الله بالحديث المشهور والمسلسل بالأولية «الراحمون يرحمهم الرحمن» من طريقين:

أحدهما: من طريق ابن مفلح عن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وينتهي إلى الإمام أحمد.
والثاني: من طريق عبد الرحمن بن رجب عن العلامة ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام، وينتهي أيضاً إلى الإمام أحمد.

كما أجازه الشيخ بكل ما في ثبت الشيخ عبد الباقي الخنبلـي شـيخ مشـايخ وقتـه، قـراءـة وـعـلـماً وـتـعـلـيـماً، صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ بـسـنـدـهـ إـلـىـ مـؤـلـفـهـ، وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ وـشـرـحـ الصـحـيـحـيـنـ، وـسـنـنـ التـرـمـذـيـ وـالـنـسـائـيـ، وـأـبـيـ دـاـوـدـ، وـأـبـنـ مـاجـهـ وـمـؤـلـفـاتـ الدـارـمـيـ، وـبـسـنـدـهـ المـتـصـلـ إـلـىـ الـمـؤـلـفـ. وـمـسـنـدـ الـإـلـمـامـ الشـافـعـيـ، وـمـوـطـأـ الـإـلـمـامـ مـالـكـ، وـمـسـنـدـ الـإـلـمـامـ أـحـمـدـ، إـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ مـاـ ثـبـتـ فـيـ ثـبـتـ الـشـيـخـ عـبـدـ الـبـاقـيـ.

ثم وصل الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف حـلـ الشـيـخـ مـحـمـدـ، بـحـلـ الـمـحـدـثـ الشـيـخـ مـحـمـدـ حـيـاةـ السـنـدـيـ، وـعـرـفـهـ بـهـ وـبـمـاـ هـوـ عـلـيـهـ مـنـ عـقـيـدـةـ صـافـيـةـ، وـبـمـاـ تـجـيـشـ بـهـ نـفـسـهـ مـنـ مـقـتـ الـأـعـمـالـ الشـائـعـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ مـنـ الـبـدـعـ، وـالـشـرـكـ الـأـكـبـرـ وـالـأـصـغـرـ، وـأـنـهـ إـنـاـ خـرـجـ مـنـ نـجـدـ لـلـرـحـلـةـ فـيـ طـلـبـ الـعـلـمـ، وـسـعـيـاـ إـلـىـ الـاسـتـرـازـدـةـ مـنـ السـلـاحـ الـدـيـنـيـ الـقـوـيـ، الـذـيـ يـعـيـنـهـ عـلـىـ مـاـ هـوـ مـصـمـمـ عـلـيـهـ مـنـ الـقـيـامـ بـالـدـعـوـةـ وـالـجـهـادـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ.

ومن أخذ منهم الشيخ أيضاً وانتفع به مصاحبيـمـ الشـيـخـ عـلـىـ أـفـنـدـيـ الدـاغـسـتـانـيـ، وـالـشـيـخـ إـسـمـاعـيـلـ العـجـلـوـنـيـ، وـالـشـيـخـ عـبـدـ الـلـطـيفـ الـعـفـالـقـيـ الـاحـسـائـيـ، وـالـشـيـخـ مـحـمـدـ الـعـفـالـقـيـ الـاحـسـائـيـ.

وقد أجازه الشـيـخـانـ الدـاغـسـتـانـيـ وـالـاحـسـائـيـ بـمـثـلـ مـاـ أـجـازـهـ الشـيـخـ عـبـدـ اللـهـ إـبـرـاهـيمـ بـمـاـ فـيـ ثـبـتـ أـبـيـ المـوـاهـبـ، ثـمـ تـوـجـهـ إـلـىـ نـجـدـ، ثـمـ الـبـصـرـةـ، قـاصـداـ الشـامـ، لـيـسـتـزـيدـ مـنـ الـعـلـمـ النـافـعـةـ.

فـأـقـامـ مـدـةـ بـالـبـصـرـةـ، وـدـرـسـ الـعـلـمـ فـيـهـ عـلـىـ جـمـاعـةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ. فـمـنـهـ الشـيـخـ مـحـمـدـ الـجـمـوـعـيـ، وـقـرـأـ الـكـثـيرـ مـنـ النـحـوـ الـلـغـةـ وـالـحـدـيـثـ، كـمـاـ كـتـبـ كـثـيرـاـ فـيـ تـلـكـ الـإـقـامـةـ مـنـ الـمـبـاحـثـ النـافـعـةـ وـالـكـتـبـ الـقـيـمـةـ، وـنـشـرـ عـلـمـهـ النـافـعـ وـآرـاءـهـ الـقـيـمـةـ حـولـ مـوـضـعـ الـبـدـعـ وـالـخـرـافـاتـ، وـإـنـزـالـ التـضـرـعـ وـالـحـاجـاتـ بـسـكـانـ الـقـبـورـ مـنـ عـظـامـ نـخـرـةـ، وـأـوـصـالـ مـنـزـقـةـ، وـعـزـزـ كـلـامـهـ بـالـآـيـاتـ السـاطـعـاتـ، وـالـبـرـاهـينـ الـواـضـحـاتـ.

فُقَابِلُوهُ بِالْتَّكْذِيبِ وَالْأَذَى، وَأَخْرَجَ مِنَ الْبَلَادِ وَقَتَ الْمَحْيَةَ وَأَنْزَلُوا بَعْضَ الْأَذَى بِشِيشَهِ الْجَمْعُويِّ. فَقَصَدَ الزَّيْرَ فِي وَقْتِ الصِّيفِ وَشَدَّةِ الرَّمَضَاءِ، وَكَانَ مَاشِيًّا عَلَى رَجْلِيهِ، وَكَادَ يَهْلِكَ مِنْ شَدَّةِ الظَّمَاءِ. فَسَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِ رَجَلًا مِنْ بَلْدِ الزَّيْرِ يُسَمَّى أَبَا حَمِيدَانَ، فَرَآهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالصَّالِحِ، فَحَلَّمَهُ عَلَى حَمَارٍ، حَتَّىْ أَوْصَلَهُ إِلَى بَلْدِ الزَّيْرِ.

وَتَوَجَّهَ إِلَى الشَّامِ رَاجِلًا لِيَنْهَلَ مِنْ مَنَاهِلِ الْعُلَمَاءِ، وَيَتَغَذَّى مِنِ الْقَ ثَافَاتِ الدِّينِيَّةِ، مُسْتَزِيدًا. غَيْرَ أَنَّهُ قَلَّتْ نِفَقَتُهُ، فَقَفَلَ رَاجِعًا، فَأَتَى إِلَيْهِ الْإِحْسَاءَ، فَنَزَلَ بِهَا عَنْدَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّطِيفِ الشَّافِعِيِّ، وَقَرَأَ عَنْهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْرَأَ. ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى حَرِيْمَلَا، قَرْيَةَ مِنْ نَجْدِهِ، وَذَلِكَ لَأَنَّ وَالَّدَهُ الشَّيْخَ عَبْدَ الْوَهَابَ قَدْ اِنْتَقَلَ إِلَيْهَا. وَلَا آبُ الشَّيْخِ مِنْ رَحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ وَرَاءِ الْعِلْمِ وَالتَّحْصِيلِ، لَازِمُ أَبَاهُ، وَاشْتَغَلَ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمَا.

وَعَكَفَ عَلَى كِتَابَ الشَّيْخِيْنِ: الشَّيْخِ اَبْنِ تِيمِيَّةَ، وَالْعَالَمِ اَبْنِ الْقَيْمِ رَحْمَهُمَا اللَّهُ، فَزَادَتْهُ تِلْكَ الْكِتَابَ الْقِيَّمَةَ، عَلَمًاً وَنُورًاً وَبَصِيرَةَ، وَنَفَخَتْ فِيهِ رُوحُ الْعَزِيْمَةِ. وَرَأَى الشَّيْخُ بِشَاقِبِ نَظَرِهِ مَا بَنَجَدَ وَمَا بِالْأَقْطَارِ الَّتِي رَحَلَ إِلَيْهَا مِنِ الْعَقَائِدِ الْضَّالَّةِ، وَالْعَادَاتِ الْفَاسِدَةِ، فَصَصَمَ عَلَى الْقِيَامِ بِالدُّعَوَةِ.

حَالَةُ نَجْدِ الدِّينِيَّةِ قَبْلَ الدُّعَوَةِ

ذَكَرْنَا آنَفًا، أَنَّ الشَّيْخَ رَحْمَهُ اللَّهُ زَارَ الْحَجَازَ وَالْإِحْسَاءَ وَالْبَصْرَةَ وَالْزَّيْرَ لِيَرْوِي ظَمَاءَ مِنْ مَنَاهِلِ الْعِلْمِ الْدِينِيَّةِ وَيَتَفَهَّمَ أَصْوَلَ الدِّينِ وَشَرَائِعَهُ الْقَوْمِيَّةَ، وَيَقْفَى عَلَى أَحْوَالِ أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ وَعَقَائِدِهِمْ وَعِلْمَهُمْ، بَعْدَمَا شَاهَدَ فِي نَجْدٍ – وَطَنِهِ – مَا شَاهَدَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْأَثِيمَةِ وَالشَّرِكِيَّاتِ الْقَبِيْحَةِ الْذَّمِيْمَةِ الْقَاتِلَةِ لِمَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَكَانَ أَيَّامُ تَحْصِيلِهِ يَقْرَرُ لِسَامِعِيهِ وَمُخَالِطِيهِ مَا فَهَمَهُ مِنَ الدِّينِ وَالْتَّوْحِيدِ، وَيَبْيَنُ قَبَائِحَ مَا تَأَتَّيْهُ الْعَامَةُ وَأَشْبَاهُ الْعَامَةِ مِنْ أَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ.

عِنْدَمَا كَانَ فِي الْمَدِيْنَةِ الْمُنْوَرَةِ يَسْمَعُ الْإِسْتَغَاثَاتِ بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَدُعَاءَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَكَانَ مَرْجِلُ غَيْظَهُ يَنْفَجِرُ. فَقَالَ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ حَيَّةِ السَّنْدِيِّ: مَا تَقُولُ يَا شَيْخُ فِي هُؤُلَاءِ؟ فَأَجَابَهُ عَلَى الْفَوْرِ: {إِنَّ هُؤُلَاءِ مُتَبَّرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الْأَعْرَافِ: ١٣٩]

دَرَسَ أَحْوَالَ نَجْدٍ وَأَهْلَ الْبَلَدَانِ الَّتِي زَارَهَا، وَرَأَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ بُعْدٍ عَنِ الدِّينِ، وَلَا سِيمَا نَجْدٍ. مَاذَا رَأَى؟ .. رَأَى نَجْدًا كَمَا يَحْدِثُنَا الْمُؤْرِخُونَ السَّالِفُونَ لِنَجْدٍ، كَابِنَ بَشَرٍ، وَابْنَ غَنَامٍ، وَالْأَلوَسِيِّ وَالْمَعَاصِرُونَ كَ«حَافِظَ وَهَبَةً» وَغَيْرِهِ، مُرْتَعًا لِلْخَرَافَاتِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي تَتَنَاهِي مَعَ أَصْوَلِ الدِّينِ الصَّحِيْحَةِ.

ورأى في الحجاز، من تقديس قبور الصحابة وأهل البيت والرسول -صلى الله عليه وسلم-، مala يسوغ إلا مع رب الأرباب. كما رأى في البصرة والزبير، وسمع عن العراق والشام ومصر واليمن من الوثنية الجاهلية ما لا يستسيغه العقل، ولا يقره الشرع.

كما سمع عن العيدروس في «عدن» والريلعى في اليمن الشىء الكثير.

رأى ما رأى، وسمع ما سمع، وتحقق. ووازن تلك الأفعال المنكرة بميزان الوجهين كتاب الله المبين وسيرة الرسول الأمين -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه المتقيين، فرأهم في بُعدٍ عن منهج الدين وروحه. رأهم لم يعرفوا لماذا بعث الله الرسل؟ ولماذا بعث الله محمداً للناس كافة؟ ورأى أنهم لم يعرفوا حالة الجاهلية، وما كان فيها من الوثنية الممقوتة، رأهم غيروا وبدلوا أصول الدين وفروعه، إلا القليل. هذه حالتهم في دينهم وعبادتهم.

حالة نجد السياسية

أما حالتهم السياسية، فكما جاء في كتاب «جزيرة الرب في القرن العشرين». رأى أنه ليس هناك قانون ولا شريعة إلا ما قبضت به أهواء الأمراء وعماهم. وكانت نجد متقسمة إلى ولايات عديدة، يحكم كل واحدة منها أمير، لا تربطه وجاره أية رابطة.

ومن أهم هؤلاء الأمراء بنو خالد في الإحساء، وأآل معمر في العيينة، والأشراف في الحجاز. وعدا هؤلاء، أمراء لا يعُدُّون بذكرهم.

وقد كان أولئك الأقوام في حروب دائمة، لاسيما مع البدية. وكان الأمير على قدم الاستعداد، عندما تنسح الفرص، ليعتدي على جيرانه إذا بدا من هؤلاء الخيران ضعف أو عدم استعداد. انتهى. هكذا كانت حالة بلاد العرب عند إیاب الشیخ من رحلته العلمیة.

بدء نهضة الشيخ في الإصلاح الديني

وبعد أن ثبت لديه وتحقق حالتهم السيئة في دينهم ودنياهم ورأى إقرار العلماء في الحجاز وفي بحد وسائر الأقطار، على تلك المنكرات والمبتدعات إلا القليل منهم من كان لا يتجرأ أن يبيح بمحقق ما فعلوا، وأيقن أنهم قد أدخلوا في أصول الإسلام العليا ما يأبه القرآن، وما تأبه السنة المحكمة. وكان يقوي عقيدته بخطئهم ورکونهم إلى البدع ما يقرؤه من الروايات القائلة بأن المسلمين لا بد أن يغيروا، وأن يسلكوا مسالك الذين من قبلهم كالحديث الصحيح «لتتبئن سنن من كان قبلكم»^١. وك الحديث «لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمري الأوثان»^٢. و الحديث «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»^٣. حينئذ صمم الشيخ أن يعلن قومه بأنهم قد ضلوا الطريق السوي، وزاغوا عن منهج الصواب. يقول بعض الكتاب: حقاً إن الموقف دقيق حرج، يحتاج إلى شجاعة ماضية، وإلى إيمان لا ييالي بالإذى في سبيل إرضاء الله وإرضاء الحق الذي اقتنع به، وسبيل إنقاذ البشرية المذنبة، كما يحتاج إلى عدة كافية من قوة اللسان، وإصابة البرهان، ليواجه ما يجاهه من شبكات واعتراضات، لا بد منها، ثم إلى مؤازر قوي يحمي ظهره، ويدافع عن دعوته.

دعوته لقومه

ابتدأ الشيخ رحمه الله، دعوته لقومه في بلدة (حرىملا) وبين لهم أن لا يدعى إلا الله، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، وأن عقيدتهم في تلك القبور والأحجار والأشجار، من الاستغاثة بها، وصرف النذور إليها، واعتقاد النفع والضر منها، ضلال وزور، وبأنهم في حالة لا ترضي، فلابد من نبذ ذلك. وعزز كلامه بماي من كتاب الله المجيد وأقوال الرسول وأفعاله، وسيرة أصحابه. فوقع بينه وبين الناس نزاع وجدال، حتى مع والده العالم الجليل، لأنه كان مفتراً بأقوال المقلدين السالكين تلك الأفعال المنكرة في قوله حب الصالحين.

فاستمر الشيخ يجاهد بلسانه وقلمه وإرشاده. وتبعه أناس من أهل تلك البلدة، حتى انتقل أبوه عبد الوهاب إلى جوار رب الأرباب سنة (١٥٣هـ). والظاهر أن والده اقتنع بأقوال ابنه ومبادئه، كما اقتنع أخوه سليمان بعدما وقع بينه وبينه نزاع وردود.

وبعد وفاة والده، جاهر قومه بالدعوة والإنكار على عقائدهم الضالة. ودعا إلى متابعة الرسول في الأقوال والأفعال. وكان في تلك البلدة قبيلتان، وكل يدعى الرعامة، وليس هناك من يحكم الجميع،

^١ متفق عليه

^٢ رواه الترمذى بنحوه (صحيح الجامع ٧٤١٨)

^٣ رواه مسلم وابن ماجة

ويأخذ حق الضعيف، ويردع السفيه. وكان لإحدى القبيلتين، عبيد يأتون بكل منكر وفساد، ولا يحجرون عن التعدي على العباد. فصمم الشيخ على منعهم وردعهم. ولما أحسن أولئك الأرقاء بما صمم عليه الشيخ، عزموا أن يفتكوا به خفية، فتسوروه عليه من وراء الجدار، فشعر بهم بعض الناس، فصاحوا بهم وهردوا.

عندما غادر الشيخ (حريرا) إلى (العينة) مسقط رأسه، وموطن آبائه، وحاكمها إذ ذاك عثمان بن حمد بن معمر. فتلقاءه بكل إجلال وإكرام، وبين الشيخ له دعوته الإصلاحية المباركة، القائمة على دعائم الكتاب والسنّة المطهرة وشرح له معنى التوحيد، وأن أعمال الناس اليوم وعقائدهم منافية للتوحيد. وتلا عليه الآيات والأحاديث النبوية، ورجا له من الله - إن قام بنصر «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» - أن ينصره الله ويعلي كلمته، وتكون له السيادة والزعامة على نجد وغيرها، وله السعادة الأبدية إن شاء الله.

فقبل عثمان، ورحب بما قال الشيخ، فعالن الشيخ بالدعوة إلى الله، والإفراد العبادة لله تعالى، والتمسك بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقطع الشيخ الأشجار المعظمة هناك، وهدم قبة زيد بن الخطاب، بمساعدة عثمان الأمير. وأقام الحد على امرأة اعترفت بالزنا مراراً، بعد ما تأكد من صحة عقلها وكمال حواسها.

فاشتهر أمر الشيخ، وذاع صيته في البلدان. بلغ خبره (سليمان بن محمد بن عريعر) حاكم الإحساء وبني خالد. فبعث هذا الجاحد الظالم إلى عثمان بن معمر كتاباً جاء فيه: إن المطوع الذي عندك، قد فعل ما فعل، وقال ما قال، فإذا وصلك كتابي فاقتله، فإن لم تقتلته، قطعنا خراجك الذي عندنا في الإحساء.

فعظم على عثمان الأمر، وكبر عليه مخالفة ابن عريعر، وغاب عن ذهنه عظمة رب العالمين.

وكانت النتيجة من جراء ذلك الكتاب وضعف إيمان ابن معمر أن أمر بإخراج الشيخ من بلده.

ولم يفده فيه وعظ الشيخ ونصحه، وأنه لابد للداعي والمصلح من أن يناله الأذى، ولابد أن تكون العاقبة للمتقين. فخرج الشيخ رحمه الله يمشي على رجليه موكلاً به فارس يمشي من خلفه، وليس مع الشيخ إلا المروحة في أشد وقت الحر من الصيف. فهم الفارس بقتل الشيخ، وكان بإيعاز من ابن معمر، فارتعدت يده وكفى الله شره.

وكان الشيخ في مشيه لا يفتر عن ذكر الله، ويردد قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجاً وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣-٢] ونزل الشيخ بالدرعية وقت العصر سنة (١٥٨هـ) ضيفاً على عبد الرحمن بن سويلم، وابن عمّه أحمد بن سويلم. وخاف ابن سويلم على نفسه من الأمير محمد بن سعود، لأنّه كان يعلم حالة الناس، وأنّهم لا يقبلون ما أتى به هذا

العالم الجليل، ويقابلون ذلك بالأذى، ولا سيما من بيده الأمر. ولكن الشيخ الملتئع بإيماناً وثقة بالله، سكن جأشه، وأفرغ عليه من العظات وملاه رجاءً وعدًّا بأنه لابد من أن يفرج الله وينصره نصراً مؤزراً.

فعلم به الخواص من أهل الدرعية، فزاروه خفية، فشرح لهم معانى التوحيد وما يدعوه إليه. وكان للأمير أخوان مشاري وثنين وزوجة كانت لبيبة عاقلة. وبين الأخوان – بعدما نحلا من مناهل الشيخ – لأخيهما الأمير، أن الشيخ محمد نازل ضيفاً على ابن سويم، وأن هذا الرجل غنيمة ساقه الله إليك، فاغتنم ما خصك الله به، ورغبوه في زيارة الشيخ، فامتثل وزار الشيخ.

فدعاه الشيخ إلى التوحيد، وأن التوحيد هو ما بعثت من أجله الرسل، وتلا عليه آيات من الذكر الحكيم، فيها البيان ببطلان عبادة غير الله ولفت نظره إلى ما عليه أهل نجد من الشرك والجهل والفرقة، والاختلاف وسفك الدماء، ونخب العباد.

وبالجملة بين له ضعف دينهم ودنياهم، وجهلهم بشرائع الإسلام، ورجاه أن يكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، ويكون له الملك والسيادة، ومن بعده في ذريته.

عند ذلك شرح الله صدر محمد بن سعود وأحبه، واقتنع بما دعاه إليه الشيخ، وبشر الأمير الشيخ بالنصرة وبالوقوف معه على من خالقه. وشرط الأمير على الشيخ شرطين: «الأول»: أن لا يرجع الشيخ عنه إن نصرهم الله ومحنتهم.

«والثاني»: أن لا يمنع الأمير من الخراج الذي ضربه على أهل الدرعية وقت الشمار. فقال الشيخ: أما الأول: الدم بالدم، والهدم بالهدم.

وأما الثاني: فلعل الله يفتح عليك الفتوحات، وتنال من الغائم ما يغريك عن الخراج. فباعي الأمير الشيخ على الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، والتمسك بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الشعائر الدينية.

وبعد استقراره في الدرعية، أتى إليه من كان ينتمي إليه، ومعتقلاً مبادئ دعوته، من رؤساء العامرة وغيرهم، وأخذت الوفود تأتي من كل حدب لما علموا أن الشيخ في دار منعة. عند ذلك، سمع عثمان بن معمر الذي أخرج الشيخ من بلدته أن محمد بن سعود رحمه الله قد بايع الشيخ، وأنه ناصره وأهل الدرعية له مؤيدون، ومعه قائمون ومحاهدون. فنند عثمان على ما سلف منه في حق الشيخ، فأتي إليه ومعه ثلة من الرجال من رؤساء البلاد وأعيانها، واعتذر، وطلب منه الرجوع.

فعلم الشيخ الأمر على رضاء الأمير محمد بن سعود، فرفض الأمير السماح ورجع عثمان خائباً. وشدت إلى الشيخ الرجال، وكثر الوافدون، ليتوموا من مناهله العذبة الصافية النقية من الخرافات والوثنية. وكانت الحالة الاقتصادية للأمير والبلاد، لا تقوى على القيام بمئون أولئك الوافدين الطالبين. فكان

بعضهم — من شغفه وحبه للعلم — يحترف بالليل بالأجرة، وفي النهار يحضر الدروس إلى أن وسع الله عليهم وأتي بالفرج واليسر، بعد الشدة والعسر.

وثابر الشيخ باذلاً جهده وسعه في إرشاد الناس وتعليمهم، وبيان معنى (لا إله إلا الله) وأنها نفي وإثبات. فـ (لا إله) تنفي جميع العبادات، وـ (إلا الله) تثبت العبادة لله. وشرح لهم معنى الألوهية بأن الإله: هو الذي تأله القلوب محبة وخوفاً وإجلالاً ورجاءً. وعلمهم الأصول الثلاثة. وبفضل تعاليمه الرشيدة، تنورت أذهانهم، وصفت قلوبهم، وصحت عقائدهم، وزادت محبة الشيخ في قلوب الوافدين إليه.

ثم أخذ يراسل رؤساء البلدان النجدية وقاضاهم، ويطلب منهم الطاعة والانقياد، ونبذ الشرك والعناد. فمنهم من أطاعه، ومنهم من عصاه، واتخذه سخرياً، واستهزاً به، ونسبة إلى الجهل وعدم المعرفة. ومنهم من نسبه إلى السحر. ومنهم من رماه بأمور منكرة، هو منها بريء، قاتل الله الجهل والتقليد الأعمى.

ولو كان لأولئك عقل، لعلوا أن الجاهل لا يستطيع إقامة الأدلة الصحيحة على مطالبه... الجاهل لا يستطيع أن يizar العلماء الأحياء بيراهين عقلية وحجج سمعية. تسر السامع على الخصوص... الساحر لا يأمر بخير، لا يأمر بمعروف، ولا ينهي عن منكر... ولكن لا عجب، فقد قيل سابقاً للمرسلين ولجميع المصلحين، مثل هذا الكلام.

واصل الشيخ ليله ونهاره، في نشر الدعوة والوعظ، وكتابة الرسائل العلمية مكتفياً بهذه الوسيلة السلمية. والأمير (محمد بن سعود) يؤازره حسب مقدراته. ولكن خصوم الدعوة كانوا يعملون على تأليف القلوب لخارية الدعوة بكل الوسائل، والاعتداء على الداخلين في الدعوة. فلم ير الشيخ محمد والأمير بدأ من الاستعانة بالسيف بجانب الدعوة الدينية واستمرت الحروب الدينية سنين عديدة. وكان النصر حليف ابن سعود في أغلب المواقف. وكانت القرى تسقط واحدة تلو الأخرى بيده. ودخل البعض في الطاعة بالاختيار والرغبة، لما عرف حقيقة الأمر.

وبعد فتح الرياض واتساع ملكهم وانقياد كل صعب لهم، فوض الشيخ أموال الناس وأموال الغنائم إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود الأمير، وتفرغ الشيخ للعلم ولل العبادة وإلقاء الدروس. وكان محمد وابنه عبد العزيز لا يتصرفان في شيء إلا بعد أن يعلماه، ليعلماهما الحكم الشرعي، ولا ينفذان حكماً إلا عن أمره ورأيه.

وما زال الشيخ على هذه الحالة الحسنة والسيرة الطيبة الطاهرة حتى انتقل إلى جوار ربه في ذي القعدة سنة (١٢٠٦هـ) رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان.

موقف العثمانيون

توفي الإمام «محمد بن عبد الوهاب»، بعد أن قويت دعوته، وانتشرت بين القبائل. وظلت الدعوة بعد وفاة مؤسسها تنموا ويتسع نفوذها ويزداد أتباعها، وبلغ نفوذ الوهابيين أقصاه، وامتد سلطانهم من أقصى الجزيرة إلى أقصاهما، وشعرت الدولة العثمانية بالخطر يقترب منها، وأن الحجاز يوشك - في ظل هذه الدعوة الفتية - أن يخرج من قبضتها، وهو أمر في غاية الخطورة والحساسية بالنسبة للدولة العثمانية، فالحجاز يمثل السيادة الروحية على العالم الإسلامي كله؛ نظراً لوجود الحرمين الشريفين فيه، وفقده يعني زوال تلك السلطة الروحية والسيادة والزعامة الدينية التي يتمتع بها الخلفاء العثمانيون.

فاستنجد العثمانيون بمحمد علي باشا - وإلى مصر - وطلبوا منه تجهيز جيش لمحاربة الوهابيين (على حد تعبيرهم)، وصار القتال بين الجنود المصرية والتركية ومن معهم وبين آل سعود في نجد، والحجاز، سجالاً مدة طويلة من عام (١٢٢٦ هـ إلى عام ١٢٣٣ هـ) سبع سنين كلها قتال ونضال بين قوى الحق وقوى الباطل.

حروب الإمام محمد بن سعود

كانت أولى المعارك التي خاضتها الدولة السعودية الأولى هي معارك الرياض التي بدأت عندما أخذ دهام بن دواس، أمير الرياض، ومعه كثير من مؤيديه ومن سكان القرى المجاورة يهاجمون القرى المؤيدة للإمام محمد، فبدأت الحروب بين الدولة السعودية الأولى، ومعارضيها في الجزيرة العربية.

ووفقاً لكتاب "البعثة إلى نجد" لمؤلفه هاري سانت جون فليبي فإن الحرب استمرت مع أمير الرياض قرابة ٢٠ سنة، وعلى الرغم من التعاهد على وقف الحرب إلا أنه كثير ما كان ينقض العهد، ويتم إعلان الحروب مرة أخرى.

وخلال تلك الحروب بين أمير الدرعية وأمير الرياض، كانت الدولة السعودية الأولى تواصل انتصاراتها في كثير من القرى والبلدان المجاورة للدرعية مثل: العينية وحرملاء، وثادق، وبعض من مقاطعات سدير والوشم.

أما ثاني أكبر المعارك التي شهدتها الدولة السعودية فكانت مع عرب بن دجين شيخ قبائل بني خالد وأمير الإحساء الذي خوفه ما أحرزته الدولة السعودية الأولى من انتصارات، ومن إقبال الناس على الانضواء تحت لوائها، فجمع جموعاً كبيرة وسار بها حتى وصل بلدة الجبيلة على مقرية من الدرعية، ولما هاجمت قواته البلدة تصدت لها القوات السعودية، محيرة إياها على التراجع والعودة من حيث قدمت دون تحقق غايتها.

وفاة الإمام محمد بن سعود

توفي الإمام محمد بن سعود سنة ١٧٩ هـ . بعد أن شاهد قبل موته امتداد الدولة السعودية وانتشار الدعوة الوهابية في الكثير من بلدان نجد ومقاطعتها، فيما كانت نهاية الدولة السعودية الأولى على يد محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا الذي قاد عدة حملات إلى وسط الجزيرة العربية استطاعت الوصول إلى الدرعية عاصمة الدولة وتدمرها.

الدولة السعودية الثانية

أثر غياب السيطرة العثمانية عن المسرح السياسي في الجزيرة العربية وعدم رغبة الباب العالي بتعزيز موقع الدولة على ساحل الخليج العربي، عن تهيأ الظروف لنشوء دولة سعودية ثانية على مساحة محدودة من أراضي إمارة الدرعية عاصمتها حيث لعب تركي بن عبد الله الدور الأكبر في إنشائها، ولكنها انتهت عام ١٨٩١ على يد محمد عبد الله الرشيد حاكم حائل.

الدولة السعودية الثالثة

خاض الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود منذ عام ١٩٠٢ م معارك لتوحيد المملكة العربية السعودية التي نجح في الإعلان عن قيامها عام ١٩٣٢ م، فكان أول ظهور لاسم السعودية. وتبعد قصة بن سعود من حريماء، حيث دعا إلى توحيد المملكة العربية السعودية وذلك باستعادة الرياض أولاً من آل رشيد أمراء حائل، وهي عاصمة آل سعود السابقة وكانت تسمى ذلك الوقت بالعارض وذلك في اليوم الخامس من شهر شوال ١٣١٩ هـ الموافق ١٧ يناير ١٩٠٢ م، ثم بسط عبد العزيز نفوذه على بجد وملحقاتها "الإحساء وجبل شمر وعسير وثامة" ثم الحجاز ليصبح عبد العزيز في الثامن من يناير ١٩٢٦ ملكاً للحجاز، وعرفت المملكة بعد ذلك باسم مملكة الحجاز وبجد وملحقاتها. وصدر في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٢ م - ٢١ جمادي الثانية ١٣٥١ هـ المرسوم الملكي بتوحيد مقاطعات الدولة التي تحولت بمقتضى هذا المرسوم إلى "المملكة العربية السعودية" ليصبح هذا التاريخ فيما بعد اليوم الوطني للمملكة، ويصبح عبد العزيز آل سعود أول ملك عليها.

لقد كانت دعوة الشيخ وحركته كما وصفها الشيخ مناع القطن: (بدء يقظة كاملة في العالم الإسلامي، تعمل على سيادة مبادئ الإسلام الصحيحة، والقضاء على البدع وأوضاع الحياة الفاسدة، وتأسيس دولة إسلامية، وتكوين حكومة صالحة تحكم مبادئ الإسلام، وتنفذ أحكامه، ونقيم حدوده). وكما قال الأستاذ أنور الجndi: (كانت حرباً على الاستبداد والجمود، والتقليد، في مختلف ميادين السياسة والمجتمع والدين).

وكما قال الأستاذ علال الغاسي: (كانت ترمي إلى تطهير الدين من الخرافات، والعودة إلى روح السنة المطهرة، من أجل تربية الشخصية الإسلامية على المبادئ التي جاء بها الإسلام المتelligent بصلاح الأمة في دينها ودنياها)

تعليقات بعض الكتاب والمؤرخين على انتشار دعوة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب ببعض البلدان

يقول العقاد: (ولم تذهب صيحة ابن عبد الوهاب عبشا في الجزيرة العربية ولا في أرجاء العالم الإسلامي من مشرقة إلى مغربه، فقد تبعه كثير من الحجاج وزوار الحجاز، وسرت تعاليمه إلى الهند وال العراق والسودان وغيرها من الأقطار النائية، وأدرك المسلمون أن علة الهزائم التي تعاقبت عليهم إنما هي في ترك الدين لا في الدين نفسه. وأنهم خلفاء أن يستردوا ما فاٹھم من القوة والمنعة باجتناب البدع، والعودة إلى دين السلف الصالح في جوهره ولبابه)^٤

ويقول العقاد أيضا: (سرعان ما ظهرت دعوة ابن عبد الوهاب بجزيرة العرب حتى تردد صداتها في البنغال سنة ١٨٠٤ م واتبعها طائفة الفرائضية بنصوصها الحرافية، فاعتبرت الهند دار حرب إلى أن تدين بحكم الشريعة، ثم تردد صدى الدعوة الوهابية بعد ذلك بزعمامة السيد أحمد الباريلي في البنجاب، وأوجب على اتباعه حمل السلاح لمحاربة السikhين وتقديمهم في القتال حتى الموت)^٥

يقول «أنولد» في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»: (وفي القرن العشرين نشطت حركة الدعوة إلى الإسلام في البنغال نشاطا ملحوظا، وأرسلت طوائف كثيرة ينتمي أهلها إلى تأثير الحركة الوهابية الإصلاحية، دعاهم ينتقلون في هذه المناطق، ويظهرون في البلاد من بقايا العقائد الهندوسية بين الكفار)^٦

وظهر في اليمن الشيخ على الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ)، ودعا بما يشبه دعوة الشيخ بن الوهاب وتقلد بابن تيمية وألف كتاب (نيل الأوطان) لشرح كتاب شيخ الإسلام (منتقى الأخبار)^٧ وفي العراق بحد أسرة (الألوسي) التي بذلت حياتها لتعزيز التربية الإسلامية في العراق وقد كتبوا عن الشيخ ودعوته ونافحوا عنها.^٨

^٤ عباس محمود العقاد، الإسلام في القرن العشرين، ص ٨٦

^٥ نفس المرجع صفحة ٦٩

^٦ توماس أنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٣٩

^٧ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي

^٨ المصدر السابق ، ص ٨٣

في الجزائر كان من أول من حمل راية الدعوة السلفية هو المؤرخ الجزائري (أبو رواس الناصري) الذي قدر له أن يجتمع بتلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحج. وذاكرهم في أمور إلى أن انتهى به الأمر بالاقتناع، وكان ذلك بحضور وفد حجيج كان يرأسه ولي عهد المغرب آنذاك.^٩

كذلك تأسست (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الوجه السلفي بزعامة عبد الحميد بن باديس (١٣٥٩-١٣٠٥هـ) الذي أطلق على مبادئ الدعوة السلفية عندما ذهب للحج في مكة المكرمة. ودعا إلى إصلاح عقائد الجزائريين من البدع والخرافات، ودعا إلى الاجتهد ومحاربة التقليد الأعمى والجمود الفكري وذلك بالتعقق بدراسة القرآن الكريم والسنّة النبوية.^{١٠}

أما في السودان فيقول السير أرنولد: (و حول نهاية القرن الثامن عشر ظهر من بين جماعة الفلبي رجل معروف يدعى الشيخ عثمان دانفوسو، عرف أنه مصلح ديني وداع ومحارب، وقد ذهب من السودان إلى مكة لأداء فريضة الحج، فعاد من هناك مليئا بالحماس والغيرة من أجل الإصلاح والدعوة للإسلام، وتأثر بالوهابية الذين كانت قوتهم آخذة في النماء، فأنكر الصلاة على روح الميت، وتعظيم من مات من الأولياء، وأستنكر من بالغ في تمجيد محمد نفسه، وهاجم شرب الخمر وفساد الأخلاق اللتين كانتا منتشرتين)^{١١}

وفي مصر نجد الشيخ محمد عبد و محمد رشيد رضا تبنيا مبادئ دعوة محمد بن عبد الوهاب، ودافعا عنها في مؤلفاتهم، وكذلك عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ مصر، وهو من أشد المتأثرين بدعوة بن عبد الوهاب، وكان يرى أن الأتراك قد ارتكبوا خطأ كبيرا عندما حاربوا دعوة الشيخ وأنصارها^{١٢}

في المغرب تأثر بها (سيدي محمد بن عبد الله) الذي حارب الصوفية متأثر بكتب وأراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذلك (مولاي سليمان) الذي قام ضد الروايا ودعا إلى التوحيد.^{١٣}

وما سبق نلاحظ أن انتشار الدعوة السلفية الإصلاحية المباركة في العالم الإسلامي تنتشر بشدة وتقوم بالمجتمعات التي تصلها حركات إصلاحية هدفها نشر الإسلام وتطهيره من البدع والشوائب

^٩ عبد الحليم عويس ، أثر الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر، مصر، ١٣٠٥ هجري ، ص ١٣

^{١٠} محمد سليمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٩٥

^{١١} محمد بن عبد الوهاب، أحمد عبد العفتور العطار، ص ٢١٣

^{١٢} للمزيد من المعلومات ، انظر : بحوث الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ج ٢، ص ٣٢٠-٣٣٧

^{١٣} حيات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته ، الاستاذ الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ، الطبعة الأولى ٢٠٨٠ م ، ص ٢٠٩

والخرافات وتصحيح أوضاع الحياة الفاسدة، ثم محاولة تأسيس دولة إسلامية وتكون حكومة إسلامية صالحة.

علم الشيخ وصفاته

كان الشيخ رحمه الله تعالى علمًا من الأعلام، ناصراً للسنة وقائعاً للبدعة، خبيراً مطلعًا، إماماً في التفسير والحديث والفقه وأصوله، وعلوم الآلة كالنحو والصرف والبيان، عارفاً بأصول عقائد الإسلام وفروعها، كشافاً للمشكلات، حلالاً للمعضلات، فصيح اللسان، قوي الحاجة، مقتدرًا على إبراز الأدلة وواضح البراهين بأبلغ عبارة وأبينها – تلوح على محياه علامات الصلاح وحسن السير، وصفاء السريرة، يحب العباد ويفقد عليهم من كرمه ويصلهم ببره وإحسانه، ويخلص الله في النصح والإرشاد، كثير الاشتغال بالذكر والعبادة، قلما يفتر لسانه من ذكر الله.

وكان يعطي عطاء الواثق بربه، ويتحمل الدين الكبير لضيوفه ومن يسألة. وكان عليه أبهة العظمة، تنظره الناس بعين الإجلال والتعظيم مع كونه متصفًا بالتواضع واللين، مع الغني والفقير، والشريف والوضيع. وكان يخص طلبة العلم بالمحبة الشديدة، وينفق عليهم من ماله، ويرشدهم على حسب استعدادهم.

وكان يجلس كل يوم، عدة مجالس ليقي دروسه في مختلف العلوم، من توحيد، وتفسير، وحديث، وفقه، وأصول وسائر العلوم العربية. وكان عالماً بدقائق التفسير والحديث، وله الخبرة التامة في علله ورجاله، غير ملول ولاكسول من التقرير والتحرير، والتأليف والتدريس.

وكان صبوراً عاقلاً، حليماً، لا يستفره الغضب إلا أن تنتهك حرمة الدين أو تهان شعائر المسلمين، فحينئذ يناضل بسيفه ولسانه، معظماً للعلماء، منوهاً بما لهم من الفضائل، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، غير صبور على البدع، ينكر على فاعليها بلين ورفق، متحبباً الشدة والغضب والعنف، إلا أن تدعوه إليه الحاجة.

والخلاصة أن الشيخ رحمه الله تعالى كان ذا شخصية نادرة في قوتها، وصلابتها في إيمانها، وعملها – فقد حمل الشيخ أعباء الدعوة بائقانها أكثر من خمسين سنة، وواجه بها الأعاصير التي كانت تزيد أن تعصف به وبها، وتقتلعهما من جذورهما، ولكنه صمد، ولم يطأطئ لتلك الأعاصير هامته، ولم يحن لها ظهراً، وبهذا وتلك، حق له أن يكون من أبرز رجال الإصلاح والفكر في العصر الحديث.

مؤلفات الشيخ

لم يعن الشيخ بتأليف الكتب لأنه كان معنياً بتأليف الرجال، وبناء العقول والقلوب لتكون مؤهلة لنشر الدعوة وحمل أعبائها، والدفاع عنها، والذود عن مرتکباتها، وترك التأليف لغيره من العلماء من

تلاميذه، وأصحابه، وأبنائه، وقد بني دولة وأرسى أساسها على الدعوة، لتكن دولة الإسلام التي غرت شعوسها منذ قرون، بعد أن خذلها القائمون على شؤونها، فباءوا بالخزي في الدنيا والآخرة.

ومع ذلك، ترك الشيخ عدداً من الرسائل والكتب القيمة التي ألف بعضها واختصر بعضها الآخر من الكتب المعتمدة في المذهب الحنفي، كتبها بأسلوب واضح، لا غموض فيه ولا تغط، لأنه أراد بها نشر أفكاره دعوته، ولم يرد الشهرة والذكر، ومن هذه الكتب والرسائل

- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العباد.

وقد شرحه عدد من العلماء منهم:

- أحمد بن حسن النجدي، بعنوان «الدر النضيد».

- حامد بن محمد بن حسن، بعنوان «فتح الله الحميد الجيد».

- عبد الرحمن بن حسن قصيلة، بعنوان «فتح المجيد».

- كشف الشبهات من التوحيد

- الأصول الثلاثة وأدلتها: (معرفة الرب معرفة دين الإسلام معرفة الرسول - صلى الله عليه وسلم -)

● مختصر السيرة النبوية.

● مختصر الإنصاف والشرح الكبير في الفقه.

● نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين.

● كتاب الكبائر

● آداب المشي إلى الصلاة.

● أصول الإيمان.

● مختصر زاد المعاد.

● مختصر صحيح البخاري.

● مسائل الجahلية.

● إستنباط من القرآن (يقع في جزأين).

● أحاديث الفتنه.

وله رسائل عديدة، وأكثرها في التوحيد.

أبناء الشيخ وتلامذته

أخذ عن الشيخ العلم عدة من العلماء الأجلاء، منهم أبناءه الأربعة العلماء، والقضاة الفضلاء، الذين درسوا العلوم الشرعية والفنون الأدبية كما درسوا الفروع والأصول، وصارت لهم ملكة في المعمول والمنقول. حسين، عبد الله، علي، إبراهيم.

وقد كان لكل واحد منهم – قرب بيته – مدرسة، وعنده من طلاب العلوم من أهل الدرعية والغراء العدد الكبير، بحيث قد يعده السامع أنه قد بولغ في العدد. ولا زال العلم في ذرية الشيخ وسيكون – إن شاء الله – باقياً إلى أن تقوم الساعة.

وآل الشيخ إلى هذا اليوم، هم القائمون في المملكة العربية السعودية بالوظائف الدينية، من الإفتاء، والتدريس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورئاسة المعاهد والكليات، وحل المشاكل، والدفاع عن حوزة الدين، ونصر شريعة سيد المرسلين فجزاهم الله أحسن الجزاء، ووقفنا وإياهم لما يحبه ويرضاه.

وأما التلامذة والطلاب الذين خلوا من منهل الشيخ، وترجعوا على يده، وصاروا قضاة ومحفظين، فلا تخصيص لهم الأقلام. ولا يأس أن نذكر عدداً قليلاً منهم:

- الشيخ العالم الجليل محمد بن ناصر بن عثمان بن معمر والد مؤلف «منحة القريب»^{١٤}.
- الشيخ الزاهد الورع عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري، تولى القضاء إذ ذاك في ناحية الوشم.
- الشيخ الفاضل العالم العامل سعيد بن حجي، قاضي حوطة بني تميم.
- العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن بن نامي، تولى القضاء ببلد (العيينة) والإحساء.
- الشيخ المفضل أحمد بن راشد العربي، القاضي في ناحية (سدير).
- الشيخ عبد العزيز أبو حسين.
- الشيخ حسن بن عيدان، وكان قاضياً في بلد حريملاء.
- الشيخ عبد العزيز بن سويلم، وكان قاضياً في بلد (القصيم).

ومن ذرية الشيخ حسن وأشهر الموجودين من نسله في عصرنا الحاضر، الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن مفتى المملكة العربية السعودية وإليه مرجع الهيئات الدينية.

^{١٤} منحة القريب، في الرد على عباد الصليب أله الشيخ العلام عبد العزيز ابن الشيخ أحمد المذكور وهو اذاك.

وأخوه الشيخ عبد اللطيف رئيس المعاهد الدينية والكليات، والشيخ عبد الملك رئيس هئيات الأمر بالمعروف بمكة المكرمة، كما أن من أشهر الموجودين من نسل الشيخ حسين بن محمد، الشيخ عمر بن حسن، رئيس هيئة الأمر بالمعروف بـ(نجد) والمنطقة الشرقية.

ثناء العلماء عليه

كان الشيخ ابن عبد الوهاب أحد العلماء المجددين، والقادة المصلحين، شهد له العلماء المنصفون بالعلم والديانة والاستقامة، بل عده كثير منهم مجدد القرن الثاني عشر الهجري. وفي ذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجدداً للإسلام في بلاد نجد، بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنّة).

وقال: (ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تحرير التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم -، وترك البدع والمعاصي، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المتهاكة المنهوبة).

ومن عرف حال نجد والجزيرة، قبل انتشار دعوة الشيخ من انتشار البدع والخرافات، وأنواع الجهالات، أدرك ما لهذه الدعوة من الآثار الحميدة، والحصول الفاضلة، والدور العظيم في إحياء السنّة، وإماتة البدعة.

وقال علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار في كتابه «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٠٠»: (ليس للوهابية ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص، ولكنه رحمه الله كان مجدد الدعوة الإسلام، ومتابعاً لمذهب أحمد بن حنبل).

ومن أثني عليه ثناء عاطرا الإمامان الصناعي والشوكاني من أهل اليمن، وما قال الصناعي بين يدي قصيدة يمدح بها الشيخ: (لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له: محمد بن عبد الوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكتابته بهذه الآيات سنة (١١٦٣هـ) وأرسلناها من طريق مكة المشرفة.. وجاء في قصيده:

حبداً المادي لسنة أَحْمَدَ فِي

محمد المادي لسنة أَحْمَدَ فِي

ومنها:

يعيد لنا الشّرّع الشّرّيف بما يبدي

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه

ومبتدع منه فوافق ما عندي

وينشر جهراً ما طوى كل جاهم

مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

ويعمّر أركان الشّرّيعة هادماً

وما قال الشوكاني رحمة الله في كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢٧»: (وفي سنة ١٢١٥ هـ وصل من صاحب نجد المذكور مجلداً لطيفان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله، أحدهما يشتمل على رسائل محمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد، والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة... إلخ). وللشوكاني قصيدة بلغة مؤثرة، في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أكثر من مائة بيت ومنها:

إمام الورى علامة العصر قدوتى وشيخ الشیوخ الخبر فرد الفضائل (محمد)

ذو المجد الذي عز دركه وجل مقاماً عن لحوقه المطاول

إلى (عبد الوهاب) يعزى وإنه سلالة أنجاح زكي الخصائص

ومنها:

لقد أشرت نجد بنور خبائئه وقام مقامات المهدى بالدلائل

ومن أثني عليه علامة الهند المحدث محمد بشير السهوي، في كتابه: «صيانة الإنسان عن وسوسه الشيخ دحlan»، وفيه: (والشيخ رحمة الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة، ولا عن أهل السنة والجماعة منهم، وجميع أقواله في هذا الباب، أعني ما دعا إليه من توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العمل والعبادات جميع عليه عند المسلمين، لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم وعدل عن مناهجهم، كالجهمية والمعتزلة، وغلاة عباد القبور، بل قوله مما اجتمعت عليه الرسل، واتفقت عليه الكتب، كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما جاء به وتصوره.. إلخ).

يقول الشيخ أحمد القطان: (استطاعت حركة الموحدين نشر العلم والمعرفة بين طبقات الشعب المختلفة، واستطاعت تكوين طبقة ممتازة من علماء الدين ورجال المعرفة فنشرت الحركة في الناس علوم الشريعة المطهرة وآلاتها، من التفسير والحديث، والتوحيد والفقه، والسيرة والتاريخ، وغير ذلك وأصبحت الدرعية قبلة العلوم والمعارف يفد إليها الطلاب من سائر التواحي والأرجاء، وانتشر العلم في جميع الطبقات^{١٥})

وكتب علامة الشام محمد كرد علي بعنوان «أصل الوهابية» اختتمه بقوله: (وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هداهم من الضلال وساقهم إلى الدين السمع، وإذا بدت من بعضهم فهني ناشئة من نشأة البدية، وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم، وقد اختبرنا عامتهم وخاصتهم سنين طويلة فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد غلواة... إلخ)^{١٦}

^{١٤} عبدالله بن يوسف الشبل ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٦٤

^{١٥} القديس والحديث ، محمد كرد علي ، ص ١٢٠

طه حسين... قال يصف دعوة محمد بن عبد الوهاب: (قلت أن هذا مذهب جديد قدس معا، الواقع أنه ليس بجديد بالنسبة للمعاصرين، ولكنه قدس في حقيقة الامر، لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية، وهو دعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - خالصا له، ملعيها كل واسطة بين الله وبين الناس)^{١٧}

وقال عنه الأستاذ أحمد أمين: (أهم مسألة صقلت ذهن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دروسه ورحلاته مسألة التوحيد، التي هي عماد الإسلام، والتي تبلورت في لا إله إلا الله، والتي تميز الإسلام بها عما عداه، والتي دعا إليها محمد - صلى الله عليه وسلم - أصدق دعوة وأجرأها، فلا أصنام ولا أوثان ولا عبادة آباء وأجداد ولا أخبار ولا نحو ذلك، ومن أجل هذا سُمّي هو وأتباعه أنفسهم «بالموحدين» أما اسم الوهابية فهو اسم أطلقه عليه خصوصه)^{١٨}

حافظ وهبة... قال في كتابه «جزيرة العرب» عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (مصلح مجدد، داع إلى الرجوع إلى الدين الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة، ولا أراء خاصة، وكل ما يطبق في بحثه، هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله، وأما في العقائد، فهم يتبعون السلف الصالح، وبخلافون من عدائهم)

الزركلي... قال في كتابه «الأعلام»^{١٩} عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (وكانت دعوته، الشعلة الأولى للنهضة الحديثة في العلم الإسلامي كله، تأثر بها رجال الإصلاح، في الهند ومصر، والعراق، والشام وغيرها)

وتناول الأستاذ عباس العقاد في كتابه «الإسلام في القرن العشرين» دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقال: (ظاهر من سيرة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الوهابية أنه لقي في رسالته عتنا، فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميع، ومن العنت أطباقي الناس على الجهل والتسلل بما لا يضر ولا ينفع والتماس المصالح بغير أسبابها وآتيان المالك من غير أبوابها، وقد غير البدية زمان كانوا يتكلمون فيه على التعاوين والتمائيم وأضاليل المشعوذين والمنجمين ويدعون السعي من وجوهه توسلاً بأباطيل السحرة والدجالين حتى الاستئفاء ودفع الوباء فكان حقاً على الدعاء أن يصرفهم عن هذه الجهالة، وكان من أثر هذه الدعوة أنها صرفهم عن ألوان البدع والخرافات)

^{١٧} حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الطبعة الأولى

٢١٠ م، ص ١٩٩٩

^{١٨} سلسلة أعلام العلماء (٤/١٠٨ - ١٣١) تأليف عبد المنعم الماشي

^{١٩} الجزء السابع

ومن أئن على أحفاد الشيخ وأتباعه الجبوري المؤرخ المصري المشهور في كتابه «عجائب الآثار»، وكذلك العالمة نعمان خير الدين الأموي، والعلامة محمود شكري الألوسي، والأمير شكيب أرسلان، وغيرهم من أهل الإنصاف الذين طالعوا كتب الشيخ، وكتب أبنائه وأحفاده.

وكما تناول الدعوة مفكرين عرب تناولها أيضاً بعض المستشرقين

لوثروب ستودارد... يقول في كتابه «حاضر العالم الإسلامي»: (بلغ العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر المجري، أعظم مبلغ من التضعضع والانحطاط، فأريد جوه، وطبقت الظلمة كل صعق من أصقاعه،.. وبينما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته، ومتزح في ظلمته، إذا بصوت يدوي في قلب الصحراء في شبه الجزيرة العربية، مهد الإسلام، فيوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل، والصراط المستقيم، فكان الصراخ بهذا الصوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابية واتقدت ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة الجد الإسلامي القدس)^{٢٠}

المستشرق بروكلمان: (فلما آتَى عبدَ الوهابَ إِلَى بَلْدَهُ الْأَوَّلَ سَعَى إِلَى أَنْ يَعِدَّ لِلْعِقِيدَةِ وَالْحَيَاةِ إِلَيْهَا صَفَاءَهَا الْأَصْلِيِّ)^{٢١}

ويلفرد كاتنول: (سمعت من أستاذة جامعة مكيل بكندا كان محمد بن عبد الوهاب يقول قبل كل شيء، يجب أن تعيشوا حسب الشرع الإسلامي وهذا يعني أن تكونوا مسلمين، لا ذلك الرغاء العاطفي النقي الحرارة التي يقدمها الصوفيون، فأساس الإسلام هو الشرع. وإذا كنتم تريدون أن تكونوا مسلمين فيجب أن تعيشوا حسب أوامر الشرع)^{٢٢}

برنارد لويس: (وباسم الإسلام الحالي من الشوائب الذي ساد في القرن الأول نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات باعتبارها بدعا خرافية غريبة عن الإسلام)^{٢٣}

كما يقول الشيخ ابن باز في محاضرة له^{٢٤}:

^{٢٠} حاضر العالم الإسلامي ، ج ١

^{٢١} تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة الدكتور نبيه أمين ومنير العلبي

^{٢٢} الإسلام في نظر الغرب لجامعة من المستشرقين نقله للعربية إسحاق الحسيني .

^{٢٣} العرب في التاريخ ، ترجمة نبيه أمين و محمد سيف زائد.

^{٢٤} عنوان المحاضرة (الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته)

(ولقد كتب الناس عنه كتابات كثيرة ما بين موجز وما بين مطول، ولقد أفرده كثير من الناس
بكتابات حتى المستشرون كتبوا عنه كتابات كثيرة، وكتب عنه آخرون في أثناء كتاباتهم عن المصلحين
وفي أثناء كتاباتهم في التاريخ، وصفه المنصفون منهم بأنه مصلح عظيم، وبأنه مجدد للإسلام، وبأنه على
هدي ونور من ربه، وتعدادهم يشق كثيرا، من جملتهم المؤلف الكبير أبو بكر الشيخ حسين بن غنام
الأحسائي. فقد كتب عن هذا الشيخ. فأجاد وأفاد وذكر دعوته، وذكر سيرته وذكر غزواته، وأطرب في
ذلك وكتب كثيرا من رسائله واستنباطاته من كتاب الله عز وجل، ومنهم الشيخ الإمام عثمان بن بشر في
كتابه «عنوان المجد»، فقد كتب عن هذا الشيخ، وعن دعوته، وعن سيرته، وعن تاريخ حياته، وعن
غزواته وجهاده، ومنهم خارج الجزيرة الدكتور أحمد أمين في كتابه «زعماء الإصلاح»، فقد كتب عنه
وأنصفه، ومنهم الشيخ الكبير مسعود عالم الندوي، فقد كتب عنه وسماه المصلح المظلوم وكتب عن سيرته
وأجاد في ذلك. وكتب عنه أيضا آخرون، منهم الشيخ الكبير الأمير محمد بن إسماعيل الصناعي. فقد
كان في زمانه وقد كان على دعوته، فلما بلغه دعوة الشيخ سر بها وحمد الله عليها.
وكذلك كتب عنه العلامة الكبير الشيخ محمد بن علي الشوكاني صاحب نيل الأوطار ورثاه بمرثية
عظيمة، وكتب عنه جم غفير غير هؤلاء يعرفهم القراء والعلماء)

الافتراءات المكذوبة على دعوة الشيخ . رحمة الله . ٢٥

من المعروف أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . لم تسلم من المناوئين الذين شنعوا عليها، وبثوا عنها الكثير من الأباطيل، ولا تعدم كل دعوة سليمة وصحيحة في كل زمان ومكان وجود أعداء وخصوم، إما عن جهل، أو لتعصب شخصي، أو لمارب خاصة، ومصالح ذاتية، وليس الغريب أن تتصدر تلك الافتاءات من مستشرق أو صهيوني، بل العجيب أن يرددتها بعض المسلمين؛ فالله المستعان.

و قبل البدء بذكر الشبه نقول أنه لا ريب أن الله تعالى ميز الناس في ملائكتهم وخصائصهم تمييزاً كبيراً، وفضل بعضهم على بعض في الدين والدنيا، وقد فطر الله البشر على أنهم يخطئون ويفسدون، كما لا ينكر أحد أثر الأفراد في الريادة والإصلاح، ولكن المنكر هو تقديس الأشخاص، وتهيب الناس لتقديهم أو مراجعتهم في شيء مما فعلوه؛ لذلك ننبه في البداية على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله . لا يدعى العصمة لنفسه، ولا يدعى لها أحد من محبيه، وأقوله كأقوال غيره من أهل العلم، ت تعرض على الكتاب والسنّة، فما وافقهما قبل، وما خالفهما رد؛ فإننا لا نزعم العصمة لغير الرسول -

صلى الله عليه وسلم - وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ، ومن يعتقدون أنه من الأولياء، فالرافضة تزعم أن الأئمة الإثنى عشر معصومون من الخطأ والذنب، ويررون هذا من أصول دينهم، والغالبية في المشايخ يقولون: إن الولي محفوظ والنبي معصوم، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه، فحاله حال من يرى أن الشيخ والولي لا يخطئ ولا يذنب؟ وقد يبلغ الغلو بالطائفتين إلى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه منزلة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأفضل، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعاً من الإلهية وكل هذا من الجاهلية المضاهية للضلالات النصرانية.

«الشبهة الأولى» - مما يرددونه: أنه يكفر المسلمين عموماً ويقاتلهم، ويرى أن أنكحthem غير صحيحة، وأنه يوجب الهجرة إليه على من قدر.

يقول المستشرق الألماني بيوركمان: (يرى الوهابيون في أنفسهم أنهم وحدهم هم الموحدون، وأن سائر المسلمين مشركون)، والعجيب أن العلامة ابن عابدين . رحمه الله . وقع في هذا على جاللة قدره وعلمه، ولم يتطرق . رحمه الله . في نسبة التكفير إلى الشيخ محمد وأتباعه، ولعل عذرها في ذلك شیوع هذه الفرية في عصره .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يكفر عموم المسلمين، قال . رحمه الله . (فإن قال قائلهم: إنهم يكفرون بالعموم، فنقول: سبحانهك هذا بھتان عظيم، الذي نكفر الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله، وأن دعوة غير الله باطلة، ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد، ويسمّهم الخوارج)، وقال: (يا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل وهل يقول هذا مسلم، إني أبراً إلى الله من هذا القول الذي ما يصدر إلا من مختل العقل فاقد الإدراك، فقاتل الله أهل الأغراض الباطلة)، وقال: (كل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله ولم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل سبحانهك هذا بھتان عظيم).

ومن الإشكالات التي تورد في هذه الأيام: أن أتباع الدعوة يكفرون، وهذا اللفظ فيه إجمال لا يطلق فيه النفي أو الإثبات، فإن أهل الربيع يطلقون مثل هذه العبارات فيسلم لهم الشخص ظناً منه أنهم أرادوا المعنى الصحيح، فيلزمونه بأمور باطلة لازمة له، وإنما أتي من تسلیم هذا اللفظ الجمل، وإلا فلو استفسر واستفصال لما استطاعوا إلزامه بتلك اللوازم، فيقال من أورد هذا الإشكال: إن أتباع الدعوة يكفرون من يكفره الكتاب والسنة، ولا يكفرون من ليس كذلك.^{٢٦}

^{٢٦} فضول في التفكير الموضوعي (٢٣٥-٢٤١)، ومجموع الفتاوى (١١/٦٧)

«الشبهة الثانية»: مما يلمز به الشيخ . رحمة الله . : القول بالتشبيه في صفات الله تعالى.

يقول المستشرق الأمريكي «ماكدونالد» ولما كان جميع المسلمين اليوم ما عدا المتطرفين من أهل الحديث والمشبهة كالوهابية وأصحاب ابن تيمية يأخذون بما يقوله الغزالي في أمر العقائد الإسلامية، ويقدروننه تقديرًا كبيراً فيحسن، بنا أن نرجع إلى الرسالة القدسية التي كتبها في بيت المقدس،)

وهذا المستشرق معروف بتعصبه، وكان منصراً، وحرر في الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية، وكتب في الصفات والقرآن، وطعن في رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا يستغرب منه هذا القول.

وقد رد الشيخ محمد . رحمه الله . في رسالته إلى أهل القصيم هذه الفرية حيث قال: (أعتقد أن الله سبحانه وتعالى . ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا أحد في أسمائه وآياته ، ولا أكيف ، ولا أمثل صفاتـه . تعالى . صفات خلقـه؛ لأنـه تعالى لا سـيـ له ، ولا كـفـ له ، ولا نـدـ له ، ولا يـقـاسـ بـخـلقـهـ).

«الشبهة الثالثة»: مما يتهم به الشيخ . رحمه الله . إنكار الإجماع والقياس، وإبطال كتب المذاهب الأربعة، وأن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وأنه يدعى الاجتهاد وأنه خارج عن التقليد، وأنه يقول: اختلاف العلماء نعمة.

يقول المستشرق الهولندي فنسنك: (ومهما يكن من شيء فإن المذاهب الأربعية قد تخلت عن هذا الالكتفاء بالقرآن والسنة ووحدهما وأخذ الإجماع والقياس مكانتهما بين أصول الفقه. وهذه الأصول الأربعية لم يعترف بها قط الخوارج والوهابية فضلاً عن الشيعة)

ولا يستغرب هذا منه؛ فقد شكك في الوحي، وزعم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- استفاد من اليهود والنصارى الكثير، وأنه التبس عليه بعض ما نقله فأخطأ فيه.

وزعمه باطل فقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن (هذا بهتان عظيم، وقبله من بهت النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتاء الكذب وقول الزور قال تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥] بهتهوا - صلى الله عليه وسلم - بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرًا في النار فأنزل الله في ذلك: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْهُم مِّنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء: ١٠١]

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف، وهي أننا نقر آيات لصفات وأحاديثها على ظاهرها. ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد لدينا يدعىها، إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص من كتاب أو سنة

غير منسوخ ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كإرث الجد والإخوة فإننا نقدم الجد بالإرث وإن خالف مذهب الحنابلة. ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد، وقد سبق جمع من أئمة الذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه. ثم إننا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتدالوة المعتبرة، ومن أجلها لدينا تفسير ابن حirir ومتصره لا بن كثير الشافعي وكذا البغوي والبيضاوي والخازن والحداد والجلالين وغيرهم. وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنبووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير، ونحرص على كتب الحديث خصوصاً الأمهات الست وشروحها ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولاً وفروعاً وقواعد وسيراً ونحواً وصراضاً وجميع علوم الأمة. هذا وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماماً حقاً من أهل السنة وكتبهم عندنا من أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - ومعلوم مخالفتنا لهم في عدة مسائل منها طلاق ^{٢٧} الثلاث بالفظ واحد في مجلس، فإننا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة)

«الشبهة الرابعة» - تسمية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بـ(الوهابية) نسبة إلى الوهابية الرستمية، التي لم يبق منها إلا اسمها في سجلات التاريخ، فنبشوا في فتاوى العلماء حولها فوجدوا دعوة إباضية، في شمال أفريقيا نشأت في القرن الثاني المجري، باسم (الوهابية) نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الخارجي الإباضي، ووجدوا من فتاوى علماء المغرب والأندلس المعاصرین لها ما يحقق غرضهم، ومن المفارقات العجيبة أنهم ينزلون تلك الفتوى على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمة الله . ومنها فتوى مفتى الأندلس علي بن محمد اللخمي المتوفى سنة (٤٧٨هـ) وأما عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فإنه توفي سنة (٩٠هـ) على ما ذكره الزركلي وقيل : (٩٧هـ) وقيل : (٢٠٥هـ) بمدينة «تاهرت» بالشمال الأفريقي .

ولعل القارئ الكريم يلاحظ ما يلي:

1. أن دعوة ابن رستم لم تتجاوز الشمال الأفريقي، وأما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ففي الجزيرة العربية، ومن المعلوم بعد ما بين البلدين، مع أن دعوة ابن رستم لم يرد لها ذكر في تاريخ حزيرة العرب، بل لم يذكرها المصنفوون في الفرق كالشهرستاني وابن حزم؛ لأنقرضاها وضياعها

٢. أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . لا يوافق الخوارج الإباضية في مذهبهم، بل كانت دعوته تحديدية على منهج السلف الصالح.

٣. أن تشويه صورة هذه الدعوة مرتبط بالاستعمار، وما يبين ذلك أن الضابط البريطاني (سادلير) مبعوث الحكومة البريطانية في الهند قام برحالة من الهند إلى الرياض، ووقف على أطلال الدرعية في ١٣ أغسطس (١٨١٩ م) الموافق سنة (١٢٣٣ هـ)، ولحق بإبراهيم باشا، وأدركه في (أبيار علي)، وهنأه على النصر وقال له: (مع سقوط الدرعية، وخروج عبد الله عنها يدرو أن جذور الوهابيين قد انطفأت، فقد عرفت من كل البدو الذين قابلتهم في نجد أنهم سنيون وأنهم يداومون على الصلاة المفروضة حتى في السفر الطويل وتحت أقسى الظروف)

٤. يظن بعض الناس خطأً أن تسمية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . بالوهابية إنما هو نسبة إلى والده . عبد الوهاب . ولا يصح ذلك لأمرين:
أ . أن الذين سموها بذلك ذكروا فتاوى علماء المغرب في الوهابية الرسمية مما يدل على أنهم سبوا إليها .

ب . أن والده لم يقم بهذه الدعوة، ولا شارك فيها، بل إن الشيخ لم يظهر دعوته إلا بعد وفاته ^{٢٨} والده .

«الشبيهة الخامسة»: أن أخاه سليمان بن عبد الوهابعارضه في دعوته، ورد عليه بكتاب سماه «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» وقيل: سماه «فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب» ولا يصح ذلك، وإنما الذي يثبت في هذه القضية أن سليمان بن عبد الوهاب توقف عن الاستجابة لدعوة أخيه حتى يتحقق ما يدعوه إليه، وقد تم ذلك فقد ذكر ابن بشر في كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» في حوادث سنة (١١٦٥ هـ) أن سليمان بن عبد الوهاب كان قاضي حربلاء، وأنه ألقى بعض الشبه على العامة؛ فكتب إليه الشيخ ونصحه، فرد سليمان بالاعتذار، وأنه لم يقع منه مكره، كما ذكر في حوادث سنة (١١٦٧ هـ) مثل هذه الحادثة أيضاً، فهذا هو الذي ثبت من خلال المراجع العلمية، وما سواه باطل لا يثبت وبيان ذلك فيما يلي :

١. أن توقف سليمان بن عبد الوهاب في دعوة أخيه لا يعني عدواته، بل فعل ما يجب أن يفعله؛
إذ لم يدخل فيما لا يعرف حقيقته، وعندما استبان له الأمر رجع

^{٢٨} الدرر السننية (١٢٧-١٣٣)

٢. أن الكتاب الأول مشكوك في نسبته إليه؛ لأن ما فيه نفس شبه ابن جرجيس والحادي بالنص مما يدل على أنه موضوع عليه، وأما الكتاب الثاني فمؤلفه «أحمد القباني» من أهل العراق، وإنما أقحم فيه اسم سليمان لما رب لا تخفي

٣. لم يرد في ردود الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا رسائله اسم أخيه سليمان، فلو كان له كتاب لرد عليه، وبين خطأه، كما هو معروف من منهج الشيخ . رحمه الله . فإنه لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يحابي أحداً لقرابة أو غيرها.

٤. لو سلمنا أن سليمان بن عبد الوهاب كان مناوئاً ومعادياً لأخيه لما صح أن يسمى دعوة أخيه بـ (الوهابية) لأن هذه التسمية لم تظهر إلا بعد دخول الإمام سعود بن عبد العزيز مكة سنة (١٢١٨هـ)، وسميت هذه الدعوة بهذا الاسم من قبل الاستعمار تمهيداً للحملات العثمانية المصرية ضدّها مع أن سليمان بن عبد الوهاب توفي في ١٧ رجب سنة (١٢٠٨هـ).

«الشبهة السادسة»: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينكر زيارة القبور، يقول المستشرق الفرنسي ببلا: (وزار بوركهارت هذا المكان . بقيع الغرقد . بعد غزو الوهابيين فوجد أنه أصبح أتعس المقابر حالاً في المشرق) يقصد هدم القباب وقال فنسنث: (ولا يعتبر موحداً من زار قبور الأولياء وهذه الشبهة واضحة البطلان؛ فإن الشيخ لم ينه عن الزيارة الشرعية المتضمنة تذكر الآخرة، والدعاء للأموات، من غير شد الرحال إلى القبور، وإنما نهى عن دعاء المقرب، وإيقاد السرج على القبور، وبناء الأضرحة على القبور، ونخاذلها مساجد، ورفع القبور، وتشييدها، وتحصيصها، وكل هذه الأمور صحيحة عنها، فأما دعاء المقرب فهو عين الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبه، ومن مات عليه فهو مخلد في النار، قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَحِي بِلَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [٥] وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا هُنُّ أَعْذَاءٍ وَكَانُوا بِعِيَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الأحقاف: ٦-٥]

وقال: {أَكَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]

وعن أبي مرثد الغنوبي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» ^{٢٩} ، وعن جابر بن عبد الله . رضي الله عنهم . قال: «نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبني عليه» ^{٣٠} ، وعن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد

^{٢٩} رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائي

^{٣٠} رواه مسلم

بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر بتسويتها^{٣١}

فالشيخ . رحمه الله . لم ينه إلا عما نهى عنه الكتاب والسنة، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن اتخاذ القبور مساجد، والقبوريون يعكفون عليها، ويصلون عليها وإليها وبل يصلون لها من دون الله، ونهى أن تجصص القبور أو يبني عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القباب وزخرفوها، وحبسوا عليها العقارات وغيرها وأوقفوها، وجعلوا لها النذور والقربات، ونهى عن بناء المساجد عليها ولعن من فعل ذلك ودعا عليه بغضب الله، وهؤلاء قد بنوا عليها ورأوا ذلك من أعظم حسناهم، ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الأوقاف على تسریجها، ويجعلون عليها من الشموع والقناديل مالم يجعلوه في المساجد، ونهى عن شد الرحال إليها، وهؤلاء يسافرون إلى قبور الصالحين مسافة الأيام والأسابيع والشهور، ويرون ذلك أعظم القربات، ونهى عن اتخاذها أعياداً، وهؤلاء اخذوها أعياداً ووقتوا لها المواقتات الزمانية والمكانية، وصنفوا فيها مناسك حج المشاهد، ويخشعون عندها أكثر مما يخشعون عند شعائر الله كالكعبة والمشعر الحرام .

والسؤال الذي يفرض نفسه: هل نهى الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . عن هذه الأمور ومحاربته لها يعد من مناقبه وفضائله أم هو شبهة صحيحة وخطأ يبحث له عن عذر ومبرر ؟ أترك الجواب لك أيها القارئ لتحكم في ذلك بنفسك، ولكن عليك أن تحكم الكتاب والسنة، والعقل الصحيح الذي لا يشوبه هوى أو تعصب .

«الشبهة السابعة»: وصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بأنهم قراصنة فقد ورد في دائرة المعارف: (وكان هدف البريطانيين من تدخلهم في سياسة بحر فارس هو القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة اللتين كانتا قد نظمتا تنظيمًا أفضل مع اتساع نفوذ الوهابيين). وكان (فيليب حتى) يسمى شاطئ الإمارات بشاطئ القرصنة . ولإيضاح كذب هذه الفرية يقال:

١. سبب وصفهم شاطئ الخليج بذلك أن القواسم في ساحل رأس الخيمة كانوا يغيرون على سفن المستعمرات البريطانيتين وعملائهم في مسقط وينهبونها، وكان ذلك بمساعدة إخوانهم في بحد فيما ترى من هو الأحق بوصف القرصنة ؟

هل هو الغاصب المعتدي أم المدافع عن دينه أرضه؟ ولا أدرى هل يتوقع الإنجليز وهم بهذه المثابة أن تبحر سفنهم بأمان؟

٢. أن الإنجليز أنفسهم كانوا يقومون بالقرصنة في بحر العرب، ويفتكون بسفن الحجاج، وكان ذلك سابقاً لظهور المقاومة ضدتهم بزمن طويل، ففي عام (١٦٩٦م) ظهرت سفن بريطانية، ونحتت السفن في البحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي.

٣. أن سبب التعرض لهم تدخلهم في الشؤون الخاصة لغريمهم، فقد كانوا يحرضون حلفاءهم في عمان على مهاجمة حلفاء الدولة السعودية، ولأن الدعوة الإصلاحية في نجد تصطدم بمصالحهم، إذ لم يكونوا يرضون بالرضاخ للكفار وبذلك تتضح حقيقة الأمر، ومن أراد بسط هذه القضية فليراجع كتاب (إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى) للدكتور: محمد مرسى عبد الله.

«الشبهة الثامنة»: اتهامهم بتجارة الرقيق كما سبق في النقل عن دائرة المعارف، وهذه الشبهة واضحة لا تحتاج إلى كبير نظر للجواب عنها فنقول:

١. إشارة موضوع الرق يشير التساؤل عن الأغراض الكامنة وراء هذه التساؤلات؛ لأن الرق في اليهودية والنصرانية مقرر موجود، بل وعلى صورة ظالمة، فكيف يثيرون أمراً هم غارقون فيه إلى الآذان؟ وللقارئ الكريم أن يسأل وهو في عصور النهضة والتقدم ماذا صنع الغرب بالرقيق؟ فعندما اتصلت الدول الغربية بأفريقيا السوداء كان ذلك الاتصال مأساة إنسانية تعرض فيها الزوج لبلاء عظيم، فقد كانوا يختطفونهم، ويستعبدونهم ظلماً وعدواناً، ويتجرون بهم، ويحرمونهم من التعليم ومن الحياة الكريمة، بل ظهر نوع جديد هو استرقاق الشعوب تحت مسمى الاستعمار.

أما الإسلام فقد ضمن للرقيق غذاءه وكسائه، وحفظ كرامته، ولا أدل على ذلك من أن الكثير من العلماء الأعلام في تاريخ الإسلام كانوا موالى.

٢. أن الرق في الإسلام مختلف عنه في اليهودية والنصرانية، فالإسلام يقرر أن الله خلق الإنسان حراً، لا يملك أحد من البشر تقيد إرادته أو سلب اختياره، ومن فعل ذلك فهو ظالم، ففي صحيح البخاري في الحديث القدسي: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيمة، ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجراً»

٣. أن الإسلام وقف من الرقيق موقفاً مخالفًا لغيره من الملل والنحل، فإن الإسلام سد مسالك الاسترقاق، ووسع مصارف الحرية والتحرر، فليس للرق في الإسلام سبب إلا الكفر، وما سواه كالابيع والمبهجة والإرث ناشئ عنه؛ لذلك يعرف الرق بأنه: (عجز حكمي يقوم بالإنسان سبيه الكفر بالله)، وأما مصارف الحرية فكثيرة منها: الكفارات ككفارة اليمين، وكفاراة قتل الخطأ، وكفاراة الجماع في نهار رمضان، وكفاراة الظهار، ورغب في مكتبة الرقيق، ورغب في العتق لوجه الله.

٤. أما ما ذكرته دائرة المعارف فهو تلبيس، فلا يخفى أن الرق كان موجوداً، ولكن كان الأرقاء يعاملون معاملة حسنة، كما ذكر ذلك غير واحد من الغربيين منهم: المؤرخ أرنولد ويلسون في كتابه (الخليج العربي) وقد اشتهرت كلمة (الليدي آن بلنت) حين قالت: حقاً إنه لشيء مشهور أن العبيد عند العرب كالأطفال المدللين أكثر من كونهم خدماً.

«الشبهة التاسعة» - اهتم الشيخ وأتباعه بالتطرف والتشدد والتزمت يقول المستشرق الإنجليزي روبeson: «المخترات الحديثة تستخدم بلا حرج بين الوهابيين، وهم أكثر فرق الإسلام الحديث ترتمتاً». ويقول المستشرق الألماني كرن: «وقد عاد من الحجاج في أوائل القرن التاسع عشر ثلاثة من أهل منغكابا وبعد أن أدوا فريضة الحج، ورأوا الحكم الوهابي في مكة بعد سنة (١٨٠٦م) فامتلأت نفوسهم بالحماسة لتزمن الوهابيين وتشددهم».

ومثل ذلك رمي دعوته في هذا الزمان بتغريغ الإرهاب، وزرع العنف، وعدم التسامح مع المخالف، ولا أدرى هل المقصود بذلك الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ ولا غرابة أن يتبنى هذا بعض المسلمين فإن من منهج أهل الأهواء لمز أهل السنة والجماعة، وتعييرهم بالألقاب المشينة، وإظهار ما يدل على بغضهم، فكل طائفة من أهل البدع تلقب أهل السنة بباطل. فإن كان المراد أن كتب أئمة الدعوة فيها ما يدعو إلى التشدد والتطرف فهو باطل وبيان ذلك كما يلي:

١- أن الجهاد في سبيل الله من أعظم شعائر الدين، وأرسخ دعائمه، وكان تشريع القتال متضفأً بالعدل والحق، فلا اعتداء فيه على أحد، ولا يتجاوز ما تقتضيه الضرورة الحرية، وليس المدف منه التدمير والتخرير، ولا الإرهاب المجرد، فلا يقتل غير الجنود المقاتلين، ولا تقتل النساء والصبيان والرهبان والعجزة والمرضى والشيوخ، ولا تقطع الزروع والشمار، ولا تذبح الحيوانات إلا لأكلة.

٢- أن المقصود من الجهاد في سبيل الله أن تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، لا الغنائم ولذلك ذم الله من ترك الجهاد، و Ashton بالاستغلال للأموال، وفي ذلك نزل قوله تعالى: {وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْنِدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥] لما عزم الأنصار على ترك الجهاد والاستغلال بإصلاح أموالهم وأراضيهم، قال عمر بن عبد العزيز: إن الله تعالى بعث محمداً هادياً لم يبعثه جائياً.

٣- أن المقصود من الجهاد في سبيل الله حماية الدعوة الإسلامية، وإزالة العقبات أمامها، لأن كل مذهب ودين ونحلة لابد له من قوة تحميته، وتحافظ على نفوذه، ولا أدرى ما العيب في ذلك؟ فإن هذا سنة إلهية من السنن التي تبني عليها الحياة، فلا خير في حق لا نفاذ له، ولا يقوم الحق ما لم تسانده قوة تحفظه وتحيط به، وما فتئت أمم الدنيا تعد لنفسها القوة بمختلف الأساليب والأنواع حسب ظروف

الزمان والمكان، والسؤال المطروح لماذا لم تنس الدول التي تبند الجهد بالإرهاب، وتزعم أنها تدعو إلى السلام أن تضع ضمن وزارتها وزارة للدفاع، وتضع لها الميزانيات الكثيرة؟ أم هل يحرم على المسلمين ما يحل لهم؟

لعلك أخي القارئ الكريم بعد استعراض ما مضى تبين لك ما يلي:

1. أن الشبه السابقة مجرد دعوى لم يقم عليها أي دليل صحيح، ورسائل الشيخ وكتبه ومصنفات تلاميذه موجودة متاحة، والواجب الرجوع إليها والتأكد من تلك المزاعم، وكتب أئمة الدعوة طافحة بخلاف المذكور، مستدلة في ذلك بالكتاب والسنّة وإجماع أهل العلم.
2. أن الشبه المذكورة مأخوذة من كلام أعداء الدين من المستشرقين، ولو فكرت أخي الكريم وتأملت لهداك عقلك وفكرك إلى عدم جواز أن تختكم إلى أعداء الدين في شأن دعوة إسلامية سلفية إصلاحية فماذا عسى أن يقولوا؟ وكيف تتوقع أن يكون حكمهم؟ بل شك سيكون التشويه، وإلصاق التهم الباطلة.
3. هذه الدعوة شهد لها العلماء الأعلام بأنها دعوة تجديدية صحيحة ومن هؤلاء العلماء الصناعي والشوكاني والألوسي وجمال الدين القاسمي ومحمد رشيد رضا وغيرهم كثير.

ومن الغربيين: المؤرخ الأمريكي لوثروب ستورارد المستشرق الألماني كارل بروكلمان والعالم الفرنسي برنادر لويس المستشرق الألماني جولد زيهير والفرنسي سيديو وغيرهم. وختاماً أخي الكريم، بعد العرض الموجز السابق أترك لك الحكم النهائي في القضية واثقاً أن إنصافك ونزاهمتك سيحملانك على الوصول إلى الحق دون غلو أو جفاء؛ لأن الحق ضالة المؤمن أن وجدها فهو أحق بها.

أسأل الله الكريم أن يرينا الحق حقاً، ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلأً، ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله والتكفير ^{٣٢}

- ١ - شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لا يكفر بالظن: «من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقض لا نكفره بالظن لأن اليقين لا يرفعه الظن، وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه» ^{٣٣}

^{٣٢} عبد الله الفارسي

^{٣٣} ٢٤/٣ الرسائل الشخصية

٢ - **شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لا يكفر بالعموم:** «وأما القول إننا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم» ^{٣٤}

٣ - **من الذي يكفره الشيخ وما نسبتهم في الأمة؟** : «وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونحي الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره وأكثر الأمة والله الحمد ليسوا كذلك. وأما القتال فلم يقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا مكنا ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة: {وَحَرَاءَ سَيِّئَةٌ مَّشِلُّهَا} [الشورى: ٤٠] وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه والسلام» ^{٣٥}

٤ - **الشيخ لا يكفر كل من لم يواليه ولا يكفر كل جاهل:** «تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفر الناس عنه. وجاحد من صدق الرسول فيه ومن عرف الشرك وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث بإنكاره وأقر بذلك ليلاً ونهاراً ثم مدحه وحسناته للناس وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم، وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظاهر وبالرواية أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن الله ورسوله» ^{٣٦}

٥ - **الشيخ لا يكفر إلا من كفره جميع العلماء المؤثوقين:** «ما ذكر لكم عني أني أكفر بالعموم فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قوله إني أقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيئه عندي فهذا أيضاً من البهتان؛ إنما المراد اتباع دين الله ورسوله في أي أرض كانت؛ ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله ثم عاده وصد الناس عنه؛ وكذلك من عبد الأوثان بعد ما عرف أنها دين للمشركين وزينه للناس؛ فهذا الذي أكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء إلا رحلاً معانداً أو جاهلاً» ^{٣٧}

٦ - **الشيخ يكفر من يرى جواز دعاء غير الله وتكفير أهل التوحيد:** «فإن قال قائلهم إنهم يكفرون بالعموم فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم الذي نكفر الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله، وأن دعوة غير الله باطلة ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد، ويسميهم الخوارج ويتبين مع أهل القبب على أهل التوحيد». ^{٣٨}

^{٣٢} الرسائل الشخصية ١٥/١٠١

^{٣٣} الرسائل الشخصية ٥/٥٧

^{٣٤} الرسائل الشخصية ٣/٣٥

^{٣٥} الرسائل الشخصية ٩/٥٨

^{٣٦} الرسائل الشخصية ٧/٤٨

٧ - **الشيخ لا يكفر من لم تبلغه الحجة:** «من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعد ما نبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسنه للناس، أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها، قوله: إني أكفر من توصل بالصالحين، قوله: إني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق، قوله: إني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من حشب، قوله: إني أنكر زيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم -، قوله: إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم وإني أكفر من يحلف بغير الله فهذا اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول: (سبحانك هذا بهتان عظيم) .^{٣٩}

من مصادر الترجمة

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقیدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه
 - محمد بن عبد الوهاب "والعودة إلى جوهر التوحيد" سمير الحلبي
 - الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب عبد الله الطنطاوي
- بحث حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته المجددة أبو أيوب / موقع صيد الفوائد

د/ خالد سعد النجار
alnaggar66@hotmail.com